النّقد الاجتماعي في كتاب النّظرات–للمنفلوطي –ودوره في التّوعية الإسلاميّة

SOCIAL CRITICISM IN AL- MANFALUTI'S BOOK (AL-NAZARAAT), AND ITS ROLE IN THE ISLAMIC AWARENESS.

ويدراوغو إنوسا
جامعة المدينة العالمية، ماليزيا
الأستاذ المشارك الدّكتور السّيد سالم
Ouedraogo Inoussa__
Assoc. Prof. Dr Elsayed Mohamed Salem
رئيس قسم اللغة العربية –جامعة المدينة العالمية، ماليزيا

ملخّص البحث:

إنّ كتاب النّظرات منهاج الإرشاد ومرجع الوعّاظ، ومستقى التّوعية الإنسانيّة السّليمة وسند الدّعاة إلى الأخلاق الإسلاميّة الرّفيعة، وعندي أنّه لا ينقصه ليكون أهمّ مراجع الوعّاظ والدّعاة إلاّ عنوانه الذّي صيغ أصغر بكثير من مضمونه ؛ فهو ومضمونه كالثّمرة الخضراء في باب حديقة مليئة الأشجار يافعة الثمار، لا تلفت الأنظار إلى الحديقة ليقف عندها أحد إلاّ المارّ المجرّب، والباحث الحثيث عمّا يدفع به جوعته من مكان جليّ أو خفيّ ؛ فهو مربّي الأيتام، وراعي الأرامل والأشقياء، والباكي على أهوال المجتمعات، والمكفكف عن دموع المساكين والفقراء، وساتر العواري وطاعم الجوعى، وباعث الهمم، والهاجم على الهون والكسل، والثّائر على الهياكل الظّالمة والسّلطات الباغية، والباعث إلى الشّموخ والكرم والنّشاط والعزم، ولا يكاد يقول قولاً إلاّ انتابك في معناه آية من القرآن أو حديث من كلام سيّد الأنام، وما قرّر شيئًا إلاّ تراه في تقريره موافقًا لأحكام الفقه وفتاوى العلماء، أمّا منطق المتكلّمين وأفكار الفلاسفة المهديّين فقد حظي بزمامها، ونال شرف إتمامها. وتأتي هذه الدّراسة لإلقاء الضّوء على شخصيّة مؤلّف هذا الكتاب وإبراز أفكاره النّقديّة عامّة، ووصف كتابه النّظرات، وإجلاء القضايا الاجتماعيّة المتناول فيه، والوقوف على الأفكار الإسلاميّة خاصّة والدّور الّذي يمكن أن تلعبه في التّوعية الاجتماعيّة. عليه فإنّ تقسيم العمل جاء على: خمسة محاور، يتناول الأوّل ترجمة المؤلّف وإبراز أفكاره النّقديّة، والثّاني في كتاب النّظرات (تأليفه وموضوعاته وميزته)، والثّالث فيما ورد في الكتاب من الموضوعات الاجتماعيّة، والرّابع في الأفكار الإسلاميّة في الكتاب، والخامس والأخير في النّقد الاجتماعي في الكتاب ودوره في التّوعية الإسلاميّة، وقد آثرت من أجل ما سبق المنهج الوصفي لسعة أبواب الكتاب ودعوة الحاجة إلى تقديم أوصاف إجماليّة لها بتصانيف معيّنة.

الكلمات المفتاحية:

النّقد الاجتماعي، المنفلوطي، التّوعية الإسلاميّة

Abstract

The book of Al Nazaraat is considered as guide and reference for preachers and sound source for human awareness, and guidance to the Islamic grand characters. In my own opinion, the only shortcoming for book is its title which does not represent the gorgeous content of the book making it main reference for preachers. This study aims to highlight the of the author's personality in addition to highlight his critical ideas in general, description of his book (Al Nazaraa), clarifying the social issues handled in it as well as to comprehend the Islamic ideas in particular to know the potential role it can play in the social awareness. Based on the above mentioned, this approach is divided into five axis: the first dealing with the translation of the author and the presentation of his critical ideas, the second is about the book of (Al Nazaraat) itself (its composition, themes and characteristics), he third about social topics, the fourth about the Islamic ideas in the book, the fifth and the last about social criticism and its role in the Islamic awareness. the descriptive approach is chosen due to the broadness of the book and that the necessity calls for providing a comprehensive description of them in certain categories.

Keywords: Social criticism, Al- manfaluti, Islamic awareness.

المقدّمة:

إنّ كتابات المنفلوطيّ من الكتابات المؤثّرة في الخاصّ والعامّ ؛ لاهتمامه فيها بالقضايا الاجتماعيّة المختلفة، ولإيثاره السّليقة والطّبعيّة فيها على غيرهما، إلى جانب تشخيصاته وتصوراته وبديع تعابيره وجزالة ألفاظه وعذوبة معانيه، ويأتي كتابه النّظرات صورة متكاملة لجميع أساليبه الكتابيّة وطرقه النّقديّة لما فيه من مقالات وقصص وروايات، وما احتوت هذه الفنون من إصلاحات للقضايا الفرديّة والاجتماعيّة، ولمّا كان مستقى تربية هذا الكاتب هو القرآن الكريم والكتب الشّرعيّة، فإنّ تأثّره بهذه العناصر جليّ في كتاباته، ولذلك جاء كثير من موضوعات كتابه هذا في نصرة الإسلام والدّعوة إلى أخلاقه، ولمّا كان التّدهور في التّربية الإسلاميّة والفساد في الحكم والقضاء وجميع مجالات الحياة أصبحت ظواهر فاشية في أو ساط المجتمع الإسلاميّ، وقلّت أساليب الدّعاة والمربّين باقتصارهم على مؤلّفات مجالات معيّنة في استقاء أدلّة دعوتهم، فإنّ الحاجة تدعو حثيثة إلى إجلاء قيم أعمال كاتب كهذا – خاصّة في كتابه النّظرات– الّتي لعبت دور المؤلّفات الشّرعيّة بطريقة أدبيّة فريدة ومؤثّرة، عليه فإنّ هذا العمل جاء لفتًا للأنظار إلى أهمّية الاستفادة من أسلوب هذا الكاتب فيما تناوله من القضايا الاجتماعيّة لتحقيق النّجاح في التّوعيّة الإسلاميّة.

وقد قسّمه الباحث إلى مقدّمة وخمسة محاور، وخاتمة:

المحور الأوّل: المنفلوطي وأفكاره النّقديّة.

المحور الثّاني: كتاب النّظرات تأليفه وميزته وموضوعاته.

المحور الثّالث: القضايا الاجتماعيّة في الكتاب.

المحور الرّابع: الأفكار الإسلاميّة في الكتاب.

المحور الخامس: النّقد الاجتماعيّ في الكتاب ودوره في التّوعية الإسلاميّة.

وقد انتهج الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي لحاجة طبيعة الموضوع إلى الإشارة إلى جميع جزئيّات الكتاب بأوصاف إجماليّة.

أهمّية البحث:

تأتي أهمّية هذا البحث في أنّه يعين على:

1-معرفة نموذج من النّماذج السّامية في الكتابات الأدبيّة النّثريّة الحديثة، وهو كتاب النّظرات للكاتب مصطفى لطفي منفلوطيّ.

2-كما يعين على تبصير النّاس والباحثين منهم خاصّة على ضرورة الاهتمام بالأدب العربي في الشّؤون النّفعيّة.

3-أنّه يساعد على إفهام النّاس ضرورة الاهتمام بأعمال ككتابات المنفلوطيّ والاقتداء بها، إلى جانب البحوث الشّرعيّة في إصلاح مشاكل المجتمع، لحاجة النّاس دائمًا إلى التّنوّع في أساليب الخطاب.

مشكلة البحث:

1-تهالك الأدباء العرب المتأخّرون في الاغتباط بآداب الإغريق والرّومان ومن احتذى حذوهم، واعتبارها أسمى الآداب ومنتهى مستقاة الإرشاد والتّطوّر، ناسين أولئك النّوابغ والمفكّرين من بني جنسهم والمعبّرين بسليقتهم المعتمدين على معطيات بيئتهم وتعاليم دينهم، إلى جانب استفادتهم من آداب الأجانب كشّوقي، والبارودي، والمنفلوطي وغيرهم .1-يتّجه الدّعاة أكثرهم إلى الكتب الدّينيّة المعنونة بعناوينها البارزة في ذلك ؛ ككتب التّفسير والحديث والفقه وغيرها لاقتباس نصوصهم الدّعويّة، ناسين جناحًا ثانيًا من أجنحة المراجع الدّعويّة المستقاة من تعاليم القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف وهي كتب الحكم والآداب الّتي هي منطلق العلماء في مختلف المجالات ومنتهاهم عند أداء الرّسائل، والّتي تسهّل للمبتدئين فهم التّعاليم الإسلاميّة لانطلاقها من واقع حياتهم اليوميّة.

3-كثر الفساد في المجتمعات الإسلاميّة بتدهور الظّواهر التّربويّة فيها؛ كالزّنى والخمر والسّرقة وغياب الرّحمة والصّدق مع النّساء والصّبيان وغيرهم من الضّعفاء، وكذلك العمالة وغيرها، وكالكتابة والسّياسة والقضاء والانحراف فيها.

أسئلة البحث:

1-إلى أي مدى يمكننا الاستفادة من كتابات العرب المحدثين وأدب المنفلوطيّ منها خاصّة، والاكتفاء بها عن آداب اليونان والرّومان ومن احتذى حذوهم.

2-انحصرت دائرة الاستقاء الدّعويّ عند الدّعاة المعاصرين على القرآن والحديث وكتب الشّريعة المختلفة حائدين في ذلك عن طريق السّلف الصّالح في فهمهم الشّامل ودراساتهم المتكاملة، فما الطّريق إلى تصحيح هذا الفهم وما الجوانب الّتي يمكنهم الاستفادة منها إلى جانب ما اهتمّوا به.

3- ما الأدوات المعينة على إصلاح ظواهر الفساد والانحراف في المجتمع البشريّ ؟ وما الّذي يفيده في ذلك كتاب كالنّظرات للمنفلوطي؟

أهمّية البحث:

تأتي أهمّية هذا البحث في أنّه يعين على:

1-معرفة نموذج من النّماذج السّامية في الكتابات الأدبيّة النّثريّة الحديثة، وهو كتاب النّظرات للكاتب مصطفى لطفي منفلوطيّ.

2-كما يعين على تبصير النّاس والباحثين منهم خاصّة على ضرورة الاهتمام بالأدب العربي في الشّؤون النّفعيّة.

3-أنّه يساعد على إفهام النّاس ضرورة الاهتمام بأعمال ككتابات المنفلوطيّ والاقتداء بها، إلى جانب البحوث الشّرعيّة في إصلاح مشاكل المجتمع، لحاجة النّاس دائمًا إلى التّنوّع في أساليب الخطاب.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

1-تبصير النّاس والباحثين منهم خاصّة إلى أهمّية إنجازات كتّاب العرب المحدثين في السّاحة الأدبيّة بالوقوف على نموذج واحد من كتابات هؤلاء العرب وهو كتاب النّظرات للمنفلوطي.

2-إقناع الدّعاة والمصلحين الدّينيّن بأهمّية الاعتبار في مستقاة دعوتهم الكتابات الأدبيّة المهذّبة بفنونها المخلفة وأساليبها المؤثّرة ومنها كتاب النّظرات للمنفلوطيّ وهو النّموذج المتكفى به هنا.

3-الإسهام في الإصلاح الاجتماعي والتّوعية الإسلاميّة عن طريق مطيّة أدب المنفلوطيّ وكتابه النّظرات خاصّة.

المحور الأوّل –المنفلوطي وأفكاره النّقديّة:

أوّلاً– المنفلوطي مولده ونشأته : هو مصطفى لطفي بن محمّد لطفي بن حسن لطفي المنفلوطي، ولد بمنفلوط من أعمال مديريّة اسيوط سنة : 1293هـ الموافق 1876م، ونشأ في بيت كريم بالدّين جليل بالفقه، توارث أهله قضاء الشّريعة ونقابة الصّوفيّة، قرابة مائتي سنة، ونهج المنفلوطي سبيل آبائه في الثّقافة فحفظ القرآن في المكتب، وتلقّى العلم في الأزهر، لكنّه مع كلّ ذلك لم يكن يهتمّ بشيء في حياته اهتمامه بالعلوم اللّسانية والفنون الأدبيّة، وقد كان في ذلك مخالفًا لما أحبّه له أبوه، ولذلك كانت بدايات تجاربه في الكتابة تتمّ في خفية جدًّا ويصوّر حاله بنفسه على ذلك في مقدّمة كتابه النّظرات يقول : "..فكان الّذين يتولّون أمري منهم لا يزالون يحولون بيني وبينه كما يحول الأب بين ولده وبين ما يعرض له من فتن الهوى، ونزغات الصّبوة ؛ ضنًّا بي-يزعمون- أن أنفق ساعة من ساعات دراستي بين لهو الحياة ولعبها ؛ فكنت لا أستطيع أن ألمّ بكتابي إلاّ في السّاعة الّتي آمن فيها على نفسي أن يلمّوا بأمري، وقليلاً ماكنت أجدها، وكثيرًا ما يهجمون متّي على مالا يحبّون، فإذا عثروا في حقيبتي، أو تحت وسادتي، أو بين لفائف ثوبي، على ديوان شعرٍ أو كتاب أدبٍ خُيّل إليهم أنّهم قد ظفروا بالدّينار في حقيبة السّارق أو الزّجاجة في جيب الغلام، أو العشيق في خدر الفتاة، فأجد من البلاء بهم، والغصص بمكانهم، ما لا يحتمل مثله مثلي، وهم لا يعلمون –أحسن الله إليهم-أنّهم وجميع من يدور به جدار مسجدهم حسنة من حسنات الأدب، الّذي ينقمون منه ما ينقمون ؛ ويد من أياديه البيضاء على هذا المجتمع البشري ....[1]"، وقد كان المنفلوطي يحفظ الأشعار ويتصيّد الشّوارد، ويصوغ القريض وينشئ الرّسائل، حتّى أصبح مشهورًا في الأزهر بذكاء القريحة ورعة الأسلوب وبذلك نال رعاية الأستاذ محمّد عبده الّذي رسم له أمثل الطّرق في الكتابة ليرتقي لذلك إلى أسمى مستوى في الأدب والحياة ؛ إذ استفاد

1- مصطفى لطفي المنفلوطي , النّظرات دار مصر , ج 1 , ص :10-11

من قربه بالإمام بعلاقة مع سعد باشا زغلول، ومن ذلك تعلّق بصاحب "المؤيّد"، وهؤلاء الثّلاثة كانوا هم أقوى العناصر في تكوين المنفلوطي بعد استعداد فطرته وإرشاد والده.

وقد نسب إليه أثناء طلبه في الأزهر بأنّه هجا الخدّيوي عبّاس فحكم عليه بالحبس مدّة العقوبة، ثمّ لما توفي الإمام محمّد عبده جزع المنفلوطي على رجائه وسنده، وارتدّ إلى بلده مقطوع الرّجاء، ولما صارت إلى سعد باشا وزارة المعارف عيّنه محرّرًا عربيًّا لها، ولما تحوّل إلى وزارة العدل حوّله معه و ولّاه مثل هذا المنصب، ثمّ انتقل الحكم إلى غير حزبه فنقل من عمله، حتّى إذا قام البرلمان عيّنه سعد باشا في وظيفة كتابيّة بمجلس النّوّاب ظلّ فيها حتّى توفي وهو في العقد الخامس من عمره.

ثانيًا– أخلاقه : وكان المنفلوطي في أخلاقه قطعة موسيقيّة في ظاهره وباطنه ؛ فهو مؤتلف الخلق متلائم الذّوق متناسق الفكر، متّسق الأسلوب، منسجم الرّيّ، لا تلمح في قوله ولا في فعله شذوذ العبقريّة، ولا نشوز الفدامة، كان صحيح الفهم في بطء، سليم الفكر في جهد، دقيق الحسّ في سكون، هبوب اللّسان في تحفّظ، وهذه الخلال تظهر صاحبها للنّاس في مظهر الغبيّ الجاهل، فهو لذلك كان يتّقي المجالس، ويتجنّب الجدل ويكره الخطابة، وإلى جانب ذلك فهو رقيق القلب عفّ الضّمير سليم الصّدر، صحيح العقيدة نفاح اليد، موزّع العقل والفهم والهوى، بين أسرته ووطنيّته، وإنسانيّته[2] .

ثالثًا: مؤلّفاته: من مؤلّفات المنفلوطي : النّظرات وهو ثلاثة أجزاء جمع فيه ما نشره في المؤيّد من الفصول في النّقد والاجتماع والوصف والقصص، وكتاب العبرات وهو مجموعة من الأقاصيص المنقولة والموضوعة، ومختارات المنفلوطي من أشعار المتقدّمين ومقالاتهم، وقد ترجم له بعض أصدقائه عن الفرنسيّة تحت ظلال الزّيفون، (مجدولين) لألفونس كار، وبول وفرجيني (الفضيلة)، ليرتار دي سان بيير، وسيرافودبر جراك(الشّاعر)، لإدمون رستان، فصاغها بأسلوبه البليغ الرّصين، صياغة حرّة لم يتقيّد فيها بالأصل، فأضافت إلى ثراء الأدب العربي ثروة [3].

رابعًا– الاتّجاه النّقدي عند المنفلوطي : يمكن تصنيف أعمال الأديب والشاعر المنفلوطي من ضمن الأعمال الموجّهة للإصلاح الاجتماعي؛ فهو بذلك سائر على درب المدارس البراغماتيّة (النّفعيّة) ؛ إذ كان كثير من مؤلّفاته تعالج موضوعات اجتماعيّة مختلفة اختلاف المعنيّين بها، فالعبرات عبارة عن رثاء لحال الفقراء والمنكوبين ومشاطرتهم في معاناتهم، وعلى ذلك المعنى يقول في إهدائه : "الأشقياء في الدّنيا كثير، وليس في استطاعة بائس مثلي أن يمحو شيئًا من بؤسهم وشقائهم، فلا أقلّ من أن أسكب بين أيديهم هذه العبرات، علّهم يجدون في بكائي عليهم تعزية وسلوى "[4].

وفي كتاب الحجاب يدافع المنفلوطيّ عن الحجاب بتشخيص في منتهى الرّوعة ؛ حيث اعتبر التّبرّج والسّفور ثقافة الغرب الّتي

1–ينظر أحمد حسن الزّيّات , تاريخ الأدب العربي , دار النّهضة , مصر القاهرة , ص: 460

– مؤلّفات مصطفى لطفي المنفلوطي , دار الجيل , بيروت لبنان , 1404هـ1984م , ص: 7 [3]

– مصطفى لطفي المنفلوطي، العبرات، دار الهدى الوطنيّة، بيروت لبنان، ص: صفحة الإهداء غير مرقّمة. [4]

ابتلي بها من سكن عندهم من العرب فجعل عاقبة مَن صمّم على إثبات هذه الثّقافة في بلاد العرب اعترافًا وحسرة لما أحدثوه في البلاد من الفساد بنقلهم تلك الثّقافة إلى مواطن غير مواطنها- وهو المعنى الّذي عبّر عنه المنفلوطي بغرس أشجار في تربة لا تناسبها-، ذلك الفساد الّذي بدأ ببيوتهم قبل بيوت غيرهم فجعل أصدقاءهم يتناوبون على نسائهم فأحدث ذلك كوارث عندهم باختلاط الأنساب، وانزهاق الأرواح جرّاء كثرة العار والأحزان[5].

وفي النّظرات مجموعة من مثل هذه التّشخيصات كالغنيّ والفقير، واللّقيطة، والفضيلة، وغيرها.

وبالجملة فإنّ كتابات المنفلوطي كلّها كانت عبارة عن صراعات ضدّ الوقائع البشريّة والاجتماعيّة المؤلمة بجميع أنواعها كالظّلم والاستبداد، وعدم رحمة الفقراء والمساكين والضّعفاء من النّساء والأطفال وجميع المنكوبين، وكالادّعاءات والجهل والتّقليدات العمياء، وغياب الحقّ والعدالة والشّهامة في المعاملات وغيرها من القضايا الاجتماعيّة الّتي لا يقدر كلّ إنسان على تصويرها وتشخيصها وتحليلها.

المحور الثّاني –كتاب النّظرات تأليفه وميزته وموضوعاته:

أوّلاً– تأليفه وميزته : حسب اطّلاع الباحث، ليس هناك مؤلّفات ولا دراسات تشير إلى سبب تأليف كتاب النّظرات، إلاّ أنّه من الإمكان التماس هذا السّبب ولو من طرف خفيّ من الكتاب نفسه، حيث قدّم له المؤلّف بمقدّمة تحتوي على سيرة ذاتية عن شخصيّته الأدبيّة، يصل إلى ذلك من يقف على وصفه المتكامل للعمليّة الأدبيّة النّاجحة ؛ حيث أرجع كلّ أسباب النّجاح في العمل الأدبيّ إلى مطابقته بالحقيقة المشعور بها والمعبّرة عنها ؛ حزنًا وفرحًا، وحبًّا وكراهة، مدحًا ورثاءً وغزلاً وذمًّا، وفخرًا وهجاءً، وعدم التّكلّف بصنعة الألفاظ والتّقليد في التّركيب، وقد مهّد لكلّ هذه بكلام يُفهم من خلاله أنّه الدّافع إلى تأليف هذا الكتاب، وإن كان هذا العمل الشّعوري لا يُحَدّ في أسباب معيّنة، لكثرتها واختلاف ظروفها، إلاّ أنّه لا ينطلق أيضًا من دون سبب أوّليّ ؛ ذلك السّبب الّذي يتآلف مع ما بعده لرسم الطّريقة المثلى للكتابة الأمثل ؛ إذ أجاب الكاتب على تساؤلات بعض النّاس حول كيفية كتابته لقصصه ورواياته، ونجاحه فيها، يقول: "يسألني كثير من النّاس — كشأنهم في سؤال الكتّاب والشّعراء-كيف أكتب رسائلي ؛ كأنّما يريدون أن يعرفوا الطّريق الّتي أسلكها إليها فيسلكوها معي، وخير لهم ألاّ يفعلوا ؛ فإنّي لا أحبّ لهم ولا لأحد من الشّادين في الأدب أن يكونوا مقيّدين في الكتابة بطريقتي أو طريقة أحد من الكتّاب غيري ...." .

وإلى جانب هذا السّبب اللّطيف في تأليف هذا الكتاب فإنّنا نستطيع الإدراج من الأسباب كذلك: السّبب الطّبعي الّذي دعا إلى اهتمامه فيه وفي كثير من كتبه بموضوعات متقاربة في النّتائج المنشودة وراءها، وهو السّعي إلى تحقيق التّوازن الاجتماعي والإصلاح الإنساني، وهو المصرّح به أيضًا بعد هذا الكلام في كثير من تعبيراته الّتي فيها الدّعوة إلى مطابقة الأدب للواقع المعيشيّ.

[5] -ينظر المنفلوطي، الحجاب، ط1, دار الهداية , بيروت لبنان , 1412هـ-1991م , ص : 3-36

أمّا أهمّية هذا الكتاب فلا تخفى على كلّ من حاول الوصول إلى أسمى أعمال المنفلوطيّ وأميزه في الكتب المختلفة والدّراسات المصغّرة؛ إذ لا تكاد تجد إشارة أي كاتب أو باحث إلى أعمال المنفلوطيّ تخلو من هذا الكتاب، وكتابه العبرات؛ فإليه أشار الشّيخ أحمد حسن الزّيّات –في ثنايا حديثه عن أدب المنفلوطيّ ومؤلّفاته، ومنه اقتبس نموذجًا من كتاباته ليكون مرآة تعكس كلّ أفكاره وأساليبه وميوله، وهو (الغنيّ والفقير).

وإلى هذا الكتاب كذلك أشار صاحب كتاب (مؤلّفات المنفلوطيّ)، قبل غيره عند ذكر مؤلّفاته.

وإذا وقفت على البحوث المختلفة المنشورة حول المنفلوطيّ، وأسلوبه تجد نفس الاهتمام بهذا الكتاب في استدلالاتهم.

وعليه اعتمد العقّاد لترجمته الهزليّة للمنفلوطيّ، قبل أن يشير إلى أخطائه اللّغويّة في كتابه العبرات [6]

كلّ هذه إن دلّت على شيء فإنّها تدلّ على أنّ هذا الكتاب من أهمّ كتب المنفلوطيّ وأبرزها، ولم يبرز بكثرة مجاملين ولا مدائح المادحين بقدر بروزه لاحتوائه على أحسن كتابات في العصر الحديث في السّاحة النّثريّة، قصصًا وروايات، وأقاصيص مختلفة.

إنّ كتاب النّظرات أنين المحزونين والمظلومين، ودموع الفقراء والمساكين، وبكاء الأطفال والأرامل والأيتام وجميع المنكوبين، وهو ميزان العدل والفطنة والشّهامة.

ثانيًا– موضوعات الكتاب : يحتوي كتاب النّظرات على 749 صفحة –بطبعة مكتبة مصر– مقسّمة بين أجزاء ثلاثة يحتوي الجزء الأوّل منها على 255صفحة، والجزء الثّاني على 264صفحة، أمّا الجزء الأخير فقد احتوى على 230 صفحة وهي أقلّ الأجزاء الثّلاثة حجمًا، وقد نثر الكاتب في خلال هذه الأجزاء الثّلاثة كثيرًا من الموضوعات ؛ ففي الجزء الأوّل تجده قد تناول خمسين موضوعًا، وفي الجزء الثّاني تناول ثمانية وأربعين موضوعًا، وفي الجزء الأخير تناول خمسة وثلاثين موضوعًا، وقد بدأ الجزء الأوّل بالمقدّمة الّتي بيّن خلالها ميوله وطريقته في الكتابة إجابة عن سؤال السّائلين له ؛ فأشار إلى أهمّية الطّبعيّة والصّدق في الكتابة كما بيّن وصف بدايات كتاباته وكيف كان يخبئ قراطيسه في محفظته وتحت وسادته خوفًا من مؤاخذة والده ومن كان على دربه من شيوخ مسجدهم، كما ساق في ثنايا إجابته عن سؤال السّائلين أمثلة من الكتابات الّتي وافقت ما يتبنّاه، والكتابات الّتي خالفت ذلك من أعمال الأدباء السّابقين له، ثمّ بدأ الموضوع الأوّل من هذا الجزء وهو "الغد" ؛ حيث تكلّم عن القدر خصوصًا في مستقبل الإنسان فأكّد من خلال تصويراته أنّ الإنسان قادر على حساب ماضيه ومراجعته، وقادر على بدء حاضره لكنّه عاجز عن معرفة ما آلت أموره في المستقبل، وقد أكمل هذا الجزء بموضوع "الدّعوة "؛ حيث نادى دعاة الخير إلى تحرّي الصّبر والصّدق في سبيل الدّعوة وتحمّل مشقّاتها لأنّ طبيعة هذا العمل صعبة لكونه العمل على إخراج النّفوس من معتقداتها الّتي تقبل إراقة الدّماء دونها، فساق في هذا المضمار أمثلة للنّاجحين في دعوتهم

6– يعتمد العقّاد على السّيرة الذّاتية للشّخصيّة الأدبيّة للمنفلوطيّ الّتي قدّم بها المنفلوطيّ نفسه في بداية كتابه (النّظرات) , ليستهزئ بالكاتب في أسلوبه ؛ حيث اعتبره عاجزًا من كتابة سيرة ذاتيّة متكاملة لنفسه كما يفعل غيره من الكتّاب في كتاباتهم , ثمّ يلقي عليه العصا في كتابه العبرات حيث عابه على كثرة المفعول المطلق فيه , وعدّ له في ذلك الكتاب 572مفعولاً مطلقًا , وهو نقد قابل للنّقد وسوف يمتدّ الكلام إليه في ثنايا البحث.\ ينظر عبّاس محمود العقّاد إبراهيم المازني , الدّيوان , ط4 , دار الشّعب , القاهرة , 1996 , ج2 , ص : 80-103.

بعد تحمّلهم مشقّاتها، فذكر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وابن رشد والغزالي، ثمّ صوّر أعمال الدّعاة في العصور الأخيرة فحكم على أغلبيتها بالبطلان لا فتقادها العنصر المذكور، كما صنّف الدّعاة في هذه العصور الأخيرة إلى أربعة أصناف استعدم بعدها الدّعاة الحقيقيّين في الآونة الأخيرة.

أمّا الجزء الثّاني فقد بدأه بموضوع "الحياة الذّاتيّة" ؛ حيث نادى فيها النّاس –خاصّة الكتّاب منهم – إلى احترام عقولهم واستقلالها من قيود الاتّباع والعمل لما يرضي النّاس وإن كان خاطئًا، فبيّن أنّ كثيرًا من النّاس يعيشون للنّاس لا لأنفسهم ولذلك يتحمّلون ما يضرّهم لإرضاء الآخرين ؛كالّذي يبيع بيته لنفقات المأتم أو العقيقة، والّذي يجمّد عقله وما أودع الله فيه من الفطنة والفراسة خشية تبصير النّاس على ما ينكرونه فيكرهونه، أو الّذي يكتب كتاباته لإرضاء اللّغويّين وغيرهم . وقد أكمل هذا الجزء بموضوع "الكلمات"؛ وهي عبارة عن مقالات قصيرة جدًّا تحمل عناوين مختلفة فلم يجمعها عنوان إلاّ هذا لاختلاف مواضيعها؛ فمنها: "الجرائد"، و" عبد الحميد"، و"الشّهرة"، و"فكاهة " و"الانتقاد"، والدعوى"، و" الدّين والوطن"، وهذه كلّها عناوين لنقد ظواهر اجتماعيّة عاشها الكاتب، ومنها: "الدّين "، و "الحقيقة "، و "الحزم"، و"الألم"، و"الغفران"، و"الحلم"، "والأدب"، و"الأخلاق"، و"الاعتدال"، والبر" ...وهي مجموعة من نصائح وحكم مستقاة من تجارب الكاتب .

أمّا الجزء الثّالث والأخير فقد بدأه الكاتب بموضوع "البيان"؛ حيث انتقد بعض الأساليب من كتابات النّاس الّتي يظنّونها مزيّنة لكتاباتهم فتشوّهها وتخرجها للقارئ في أبشع صورة، وتبعدها عن البيان الّذي يظنّون أنّهم وصلوا إليه فيها بتعقيدهم لغتهم وخروجهم عن طريق العرب في شعرهم ونثرهم. وأكمله بموضوع "الأربعون"؛ وهو رثاء على الشّباب ومحاسبة النّفس على ماجنت وفرّطت وأفرطت أيّام الشّباب، وبكاء على الغد المجهول بعد الممات وعلى الأبناء المتروكين عند الفراق؛ وذلك لما كبر سنّه وغلبت أسقامه، وتعددت ألقابه فأصبح ينادى – بعد أن كان ينادى باسمه أو الأب من قبل أبنائه –بالجدّ والشّيخ، وكذلك لما لاحظ كلّ من في سنّه من أصدقائه وزملائه، أصبحت أحوالهم رثّة وأشعارهم شيبة فعرف أنّه أيضًا عندهم كذلك.

أمّا مجالات المواضيع المنثورة في ثنايا هذه الأجزاء الثّلاثة فمختلفة؛ فمنها الدّعوة إلى الأخلاق الحميدة من الرّحمة والعفّة والنّشاط والصّدق والوفاء؛ ومن الموضوعات في ذلك:

الكأس الأولى، أين الفضيلة، الغنيّ والفقير، البخيل، البعوض، السّريرة، أدب المناظرة، العظمة، يوم العيد، الآداب العامّة، الضّمير، أيّها المحزون، الجزع، الشّرف، الحسد، الوفاء، خبايا الزّوايا، القمار، الكبرياء.

ومنها ما جاءت علاجًا للقضايا الزّوجيّة، مثل: عبرة الدّهر، غرفة الأحزان، الحبّ والزّواج، الإحسان في الزّواج، الزّوجتان، البائسات، غدر المرأة، الرّجل والمرأة، احترام المرأة.

ومن هذه الموضوعات ما دعت إلى استقلال العقول واحترامها، ومن ذلك: الحياة الذّاتيّة، النّبوغ، العلماء والجهلاء، الانتقاد.

ومنها ما جاءت في نقد قضايا سياسيّة وحلّ مشاكل اجتماعيّة عامّة مثل: مدينة السّعادة، المدنيّة الغربيّة، الاتّحاد، أهناء أم عزاء، السّياسة، اللّقيطة، مدرسة الغرام، قتيلة الجوع.

ومن الموضوعات كذلك ما جاءت نقدًا للكتّاب والأدباء والنّحاة، ومنها: سحر البيان، الرّثاء، الشّعر، دمعة على الأدب، الصّحافة، الأدب الكاذب، اللّفظ والمعنى، النّظّامون، رسالة الغفران، البيان، زيد وعمرو، يوم الحساب، خداع العناوين، الملاعب الهزليّة.

ومن الموضوعات ما تناولت الكلام عن القدر، مثل: الغد، أمس واليوم، الماضي والحاضر.

ومنها ما جاءت رثاء لبعض الضّعفاء والشّخصيّات، مثل: الدّفين الصّغير، إيفون الصّغيرة، تأبين فولتير، الشّيخ علي يوسف، دورة الفلك، مناجاة القمر، الزّهرة الذّابلة، الخطبة الصّامتة.

ومن موضوعات الكتاب ما جاءت في محاسبة النّفس والتضرّع إلى الله، مثل: الأربعون.

ومنها ما كتبت انتصارًا للإسلام ودعوته، ومن تلك الموضوعات: عبرة الهجرة، الإسلام والمسيحيّة، لا همجيّة في الإسلام، الدّعوة، دمعة على الإسلام، الصّندوق، التّوبة، الجامعة الإسلاميّة، البعث، المؤتمر الإسلاميّ.

وقد جاء من هذه الموضوعات ما هو مترجم من اللّغات الغربيّة، مثل: تأبين فولتير، إيفون الصّغيرة، الموتى، الانتقام، في أكواخ الفقراء.

المحور الثّالث – القضايا الاجتماعيّة في الكتاب:

شغّلت القضايا الاجتماعيّة أذهان الكتّاب والباحثين منذ الأزمة السّحيقة، فظهرت جرّاء ذلك مذاهب أدبيّة وفلسفيّة اهتمّت بدراسة ما ينشب بين أفراد المجتمعات وهياكلها من مشاكل قد تؤدّي إلى هلاكها وكثرة الكوارث فيها، فظهرت من تلك المذاهب الاتّجاهات الواقعيّة في النّقد الأدبيّ كالواقعيّة الماركسيّة والواقعيّة الأوروبيّة – الواقعيّة البلزاكيّة- وغيرهما، كما ظهر في ذلك علم النّفس وعلم الاجتماع وغيرهما، وقد كان من الموضوعات المتناولة عندهم في هذه الدّراسات : قضايا الوحدات الأوّليّة للحياة الاجتماعيّة ؛ كالأفعال وشخصيّة الأفراد والجماعات، والمجتمعات المحلّيّة والرّيفيّة، والرّوابط والتّنظيمات، والسّكّان والمجتمع، كما اهتمّوا بالمؤسّسات الاجتماعيّة الأساسيّة؛ كالأسرة، والاقتصاد، والسّياسة، والدّين، والتّعليم ، والرّعاية الاجتماعيّة، والمؤسّسات التّعبيريّة والجماليّة، وكذلك اهتمّوا بالعمليّات الاجتماعيّة الأساسيّة كالتّمايز والطّبقات، والتّعاون والتّلاؤم، والاتّصال، والصّراع الاجتماعي، والضّبط الاجتماعي، والانحراف، والتّكامل الاجتماعيّ وغيرها[7]

وقد جاءت الموضوعات الاجتماعيّة الّتي تناولها صاحب كتاب النّظرات مسايرة لتلك الموضوعات والقضايا المدروسة من قبل الكتّاب السّابقين ؛ فمن خلال العرض السّابق لموضوعات الكتاب نستطيع أن نؤكّد بأنّ القضايا الاجتماعيّة المهتمّة بها في الكتاب تغلب كلّ قضيّة غيرها إن لم تشملها، والأخلاق الّتي دعا إليها الكاتب، والإصلاحات الّتي وجّهها للمتزوّجين

[7] –ينظر: الأستاذ منصور زوية المطري، الصّياغة الإسلاميّة لعلم الاجتماع الدّواعي والإمكان، ط1 , وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة ,دولة قطر , 1413هـ , ص: 29-30

والسّاسة، ليست إلاّ من قبيل العمليّات الاجتماعيّة الأساسيّة الّتي اهتمّ بها علماء الاجتماع ونقّاده من التّعاون والتّلاؤم، والاتّصال، والضّبط الاجتماعي والانحراف ونبذ الطّبقات والصّراع الاجتماعي، والتّكامل الاجتماعيّ وغيرها .

وما تبع ما تمّ ذكره من الموضوعات في الكتاب من الدّعوة إلى استقلال العقول واحترامها، والانتصار للإسلام ودعوته، ونقد الكتّاب والأدباء واللّغويّين ليس إلاّ جزءًا متكاملاً مع الأول من هذه الموضوعات ؛ فسياسة الرّؤساء والقادة لا تنجح بدون نقد صالح من الكتّاب والأدباء، كما لا تتقدّم عجلة المجتمعات البشريّة ما بقيت على تقليدها الأعمى للآخرين خاصّة الكتّاب منهم، ولمّا كان المتزوّجان في المجتمع البشري هما الرّكيزين الأساسين في التّناسل البشريّ وإبقاء نوعه وتطوّره كان من الموضوعات الّتي حظيت باهتمام الكاتب في كتابه علاج القضايا والمشاكل الزّوجيّة .

وأكبر ظاهرة اجتماعيّة تعمّ البشريّة كلّها ظاهرة التديّن والتّربية الرّوحيّة لذلك كان للدّين عند المنفلوطي شأنًا عظيمًا فلا تكاد تجده في موضوع من موضوعات الكتاب إلاّ ذكر الذّات الإلاهيّة أو إحدى صفاته سبحانه وتعالى، حتّى تجده مع ذلك كلّه يخصّص موضوعات من كتابه في الدّين –خاصّة الدّين الإسلاميّ–؛ كـالإسلام والمسيحيّة، ولا همجيّة في الإسلام، ودمعة على الإسلام، والجامعة الإسلاميّة .... إلخ.

وقد اتّخذ الكاتب في نقده الظّواهر الاجتماعيّة الأسلوب اللّيّن والتّصوير في تشخيص المشاكل الّتي يطرحها بعيدًا جدًّا عن المواجهة والمباشرة الجارحة، لكنّه في تصويره يكاد لا يترك شيئًا ممّا خفي عن منطويات الفكرة الّتي يتناولها، الأمر الّذي يسبّب عدم تركه مجالًا لمخالفه الصّمود على مخالفته ؛ إذ ينثر بين يديه صفاته ومكنونات أخلاقه، وما لم يتراء له بعد من نتائج لتلك الصّفات والأخلاق، فيصبح لا يرى على ما أخفاه سترًا، ولا لنفسه الحقّ على تقديم خطوة فيما هو عليه، وإلاّ حكم على نفسه بكلّ صفات الحماقة و السّلبيّة .

وإذا كنت كثير الإرسال للدّموع في المثيرات فإنّ كتاب النّظرات في القضايا الاجتماعيّة محرّكًا للمهج ومبقيًا للزّفرات تلو العبرات ؛ فليس في ختام قصّة تنطوي إليك فكرتها لتبكيك في تصويراتها فترتاح بعدها من البكاء، وإنّما في كلّ مقطع من مقاطعها وفي كلّ عبارة من عباراتها ؛ ففي القضايا الزّوجيّة كثيرًا ما يهلك أولئك الظّالمون من الأزواج بعد أن تمتّعوا في حياتهم بجميع الملذّات فيكون هلاكهم ويلات لا يتمنّاها العدوّ لعدوّه فكيف بحبيبه؟!، وكثيرًا ما تموت النساء والضّعفاء المظلمون دون ذنوب ولا عيوب، غير كونهم ضعفاء عاجزين فنسيهم الدّهر وهمّشهم المجتمع فأصبحوا عرضة للهلاك بكلّ أنواعه، أضف إلى ذلك ما يثيره فيك من الغضب في موضع الغضب والوجم والاكتئاب التّامّ في موضع الحزن الشّديد والعجز ؛ فهو بكلّ اختصار كاتب ناجح في معرفة مواطن ضعف الإنسان فيثيرها في موضعه ومواطن تغيظه فيستفزّها في موضعه ويتحكّم في سلوكه الطّريق إليها حتّى يبكيك إذا كان في موضع البكاء، أو يغضبك إذا كان موضع الغضب .

وأحسن مثال لما سبق قصّة اللّقيطة الّتي لاقت الويلات في حياتها حتّى ماتت عليها، فهذه القصّة من أكثر ما تثير الحزن والبكاء من القصص إذا وضعت حوادثها موضع الواقع، واعتبرت الفتاة مثل فتيات أقاربك فتركت وضيّعت حتّى لم تجد في هذه الحياة أبًا تحنو إليه وأمّا تشفق عليها، فتصبح فريسة الانتهازيين من النّاس الأشرار، فاستعملت في الأعمال كآلة في

المصانع، وضربت فيها كالحمار، حتّى أتوا إلى افتراسها في أسمى شيءٍ يبقى لها وهو عرضها وجوهرة عفافها، ففرّت تبحث عن مخرج لها حتّى وقعت في يد ذلك المحسن الرّحيم، فأشفق عليها وأسكنها عنده مع ابنته، فدارت الأيّام لتعيدها إلى شقائها، لما حاولت أن تستر تلك الفتاة الّتي أصبحت معها في بيت أبيها في فاحشة زناها، فحتّم القدر أن يكون إنقاذها إهلاكها فاتّهمت بعمل تلك الفتاة، وبكفر النّعم مع من أحسن إليها، فلم تجد لها من يقف وراءها ومن يشهد على براءتها حتّى قرّرت أن تلقي بنفسها في البحر وتودّع هذا العالم وأهله لما أخرجها الرّجل من بيته، لتظهر براءتها بعد موتها ولات حين مناص[8].

وخطاب الكاتب الّذي عنونه بعنوان: "لا همجيّة في الإسلام"[9]، والّذي وجّهه إلى المسلمين الجهّال القاتلين للأبرياء من المسيحيّين، فيه إشارة إلى قصّة مثيرة للغضب، ومسبّبة للحزن لما شوّه صورة الإسلام بعض من ينتمون إليه ولا يعرفونه فاتّخذوا القتل والتّحريق والتّشريد طريقًا لهم في الحياة، ولم يعرفوا أنّ الإسلام دين رحمة وشفقة لامع المسلمين فحسب، بل حتّى غير المسلمين وغير العقلاء من من المخلوقين.

المحور الرّابع – الأفكار الإسلاميّة في الكتاب:

ليس من الأخلاق الّتي دعا إليها المنفلوطي في كتابه النّظرات، أو قضيّة من القضايا الّتي عالجها ليس منها —حسب فهم الباحث– ما يخالف تعاليم الإسلام ودعوته فمن أسمى رسالة للدّعوة الإسلاميّة إتمام مكارم الأخلاق وفي الحديث قوله صلّى الله عليه وسلّم : "أمرت لأتمّم مكارم الأخلاق"[10]، ولم يدع المنفلوطي في الأخلاق الّتي دعا إليها بما يخرج عن إطار الأخلاق الإسلاميّة، ولم يناقش من القضايا ما تخرج عن ذلك لأنّ أسمى هدف له في ذلك هو إيجاد توازن اجتماعي وتكاتف وتعاون فيما بين أفراد المجتمع، عليه فإن اكتفينا في هذا الصّدد بالإشارة إلى بعض العناصر في الكتاب فلا يعني ذلك عدم دخول غيرها في هذا الاعتبار بقدر ما يعني دلالة تلك العناصر المذكورة على المراد بشكل أظهر من غيرها، وإن رمنا نبحث هذه الأخيرة في الكتاب فإنّه يحتم على الباحث التّقسيم التّالي :

1–المصطلحات الإسلاميّة في الكتاب: وردت في الكتاب في مختلف موضوعاته ألفاظ إسلاميّة يمكن اعتبارها الدّليل على إسلاميّة الأفكار المتناولة في هذه الموضوعات؛ فمنها: لفظ الجلالة "الله "، ومنها لفظة النّبيّ مفردة و جمعًا، ومنها كلمة الإسلام نفسها، ومنها: يوم الحساب، و البعث، و الجنّة، والحجاب، التّوبة وغيرها .

2– الموضوعات المخصّصة في نصرة الإسلام ودعوته : وهناك مواضع مخصّصة في الكتاب لتناول قضايا إسلاميّة مباشرة تحت عناوين توحي بوضوح إلى ذلك، ومن تلك المواضع المعنونة بذلك : عبرة الهجرة، الإسلام والمسيحيّة، لا همجيّة في الإسلام، الدّعوة ، دمعة على الإسلام، الصّندوق، التّوبة، الجامعة الإسلاميّة، المؤتمر الإسلامي .

فالمقصود بالهجرة المذكورة، الهجرة النّبويّة الّتي تعتبر من أعظم الأحداث في التّاريخ الإسلامي، وقد أتى بها الكاتب للاعتبار بها ودروسها الّتي تكفينا إن فهمناها درسًا لإحداث التّغييرات

[8]– مصطفى لطفي المنفلوطيّ , النّظرات , المصدر السّابق ج2 ص : 30

[9]– ينظر, المصدر السّابق ج1, ص : 186

[10]– رواه ابن ماجة من أحاديث عبد الله بن عمرو , ورواه , مالك في الموطّأ باب ما جاء في حسن الخلق.

الإيجابيّة في حياتنا الدّينيّة والدّنيويّة، منفّرًا بسبب ذلك عن تهالك المسلمين في دراسة قصص فلاسفة اليونان والرّومان وعلمائهم، واعتبارها رمز النّهضة والنّجاح.

كما أنّ موضوع :"الإسلام والمسيحيّة [11]" انتصار إنصافيّ واضح للإسلام والمسلمين من اتّهام أعدائه من جهلة المسيحيّين المعتبرين عندهم علماء وباحثين كـ"لورد كرومر"، الّذي اتّهم الإسلام بالتّخلّف ووصفه بسلوك يعض المسلمين، فردّ عليه الكاتب بدليله في الاتّهام ؛ فساق له حقيقة المسيحيّن والمسيحيّة عبر القرون الطّويلة والمملوءة بالشّركيات والدّماء والظّلم والطّغيان والجاهليّة الجهلاء، ثمّ استدلّ بطلوع الإسلام وشموليّة شرائعه الّتي غيّرت مسار الحياة من الفساد إلى الصّلاح حتّى دخل ربوع أوربا فاعتنق به عقلاؤهم واجتنب عنه حمقاهم حتّى غلب عليهم أولئك العقلاء فأحدثوا التّغيير في بلاد الأوربيين في فجر الثّورة الفرنسيّة وأبعدوا عن الحكم المسيحيّة الشّوهاء للتّأكيد بأصلحيّة الإسلام على الإصلاح والتّطوير لنظم الحياة على غيره من الأديان، ثمّ كشف له سرّ ما يتراءى له من تخلّف المسلمين المتأخرين بأنّه ليس إلاّ أثرًا من آثار المسيحيّين المنافقين لما دخلوا بلاد المسلمين متظاهرين بإسلامهم ومبطّنين لكفرهم وشيطانيّتهم فمكّنهم الملوك المسلمون الضّعفاء فخالطوا المسلمين وبثّوا سمومهم فيهم حتّى أصبحوا على ما هم عليه اليوم.

و"الموضوع الّذي عنونه بـ"لا همجيّة في الإسلام" ليس إلاّ إصلاحًا لمفاهيم الإسلام لدى بعض المسلمين الجهلاء –وقد تمّت الإشارة إليه في المحاور السّابقة –وفحواه: أنّ الإسلام بعيد جدًّا عن الهمجيّات والفوضويّات الّتي يحدثها بعض المسلمين باسم الإسلام من القتل والتّحريق والتّشريد للمسيحيّين في بعض البلاد، وبهذا تعرف الإنصاف في كتابات المنفلوطيّ ؛ فكما ذكر عيوب المسيحيّين جرّاء اتّهاماتهم للإسلام بجميع السّلبيات، ذكر هنا وجوب احترام حرمة أصحاب الأديان الأخرى بمن فيهم المسيحيّين وغيرهم .

وقد نوّه الكاتب بموضوع "الدّعوة[12]"، إلى أهمّيّة الصّبر والصّدق في الدّعوة إلى الإسلام، وأكّد بصعوبة مشروع الدّعوة بما في سبيلها من المشقّات والاتّهامات، إلاّ أنّ الدّاعية حالة التزامه بهاتين الخصلتين يتحوّل ولو بعد حين عند المدعوّين إلى رمز الإصلاح والنّجاح، وساق في سبيل ذلك النّماذج المثاليّة كحضرة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الّذي كان يتّهم بالشّاعريّة والسّحر والكهنة في بداية دعوته، ثمّ أصبح بعد فترة رمز الفخر عند أولئك المدعوّين، وحامل لواء الإصلاح والإنقاذ البشريّين، كما ذكر الإمام الغزالي المتّهم من قبل بعض الجهّال في بداية دعوته بالكفر والفسق والإضلال ثمّ أصبح علمًا للدّعوة الإسلاميّة حتّى بعد موته، وكذلك الإمام ابن رشد المرميّ بالجنون والملعون عند بعض الأوروبيين أيّام دعوته ثمّ أصبح هو حامل لواء الحضارة والثّقافة الأوربيّة، وختم الكاتب في هذا الموضوع بإظهار تأسفه من أسلوب الدّعاة المتأخّرين وقلّة صبرهم، وكثرة دوافعهم الدّنيويّة الّتي حتّم على الكاتب في الأخير على أن يحكم بانعدام دعاة حقيقيّين إلى الإسلام الصّحيح في الزّمن الأخير.

وفي موضوع "الصّندوق"[13]، تناول الكاتب ظاهرة سيّئة من آثار المغالات الصّوفيّة في بلاد مصر؛ وهي: طاعة الشّيوخ وتقديسهم

[11]-ينظر , المصدر السّابق ج1 , ص : 156

[12]–ينظر , المصدر السّابق , ج1252

[13]–ينظر , المصدر السّابق , ص : 37

فوق ما يجوز في حقّهم حتّى أدّى الأمر ببعضهم إلى أن يتّخذوا قبورهم أماكن تبرّك وتقديم القربات فوضعوا على قبر أحدهم صندوقًا يقذف النّاس المتبرّكون فيه أموالاً طائلة توزّع في آخر كلّ سنة على الرّؤساء والوزراء والكبار من الحكّام والقضاة، ويسمّونها تركة مع أنّهم لم يدخلوا في الاعتبار عند قسمتها أبناء الميت وأحفاده.

ومثل موضوع الصّندوق موضوع "دمعة على الإسلام" ؛ فقد نقد شركيات الصّوفيّين المغالين في الهند حيث رفعوا عبد القادر الجيلاني عندهم حتّى إلى ما فوق مقام الأنبياء والمرسلين إلى مقام الألوهية؛ فوصفوه بسيّد السّماوات والأرض، والنّفّاع الضّرّار، والمتصرّف في الأكوان، والمطّلع على أسرار الخليقة، ومحي الموتى، وغيرها من الأوصاف، كما نقد إلى جانب ذلك سجودهم بين يدي قبر ابن الجيلانيّ، وكذلك احتفال بعض المصريّين يوم الكنسة لقبر الإمام الشّافعيّ رحمه الله، وغيرها من الشّركيّات في مختلف البلاد "[14]

أمّا موضوع "التّوبة" فهي قصّة لفتاة خدعها رجل أنّه يتزوّج بها فحمّلها ثمّ تركها فلاقت الويلات في حياتها حتّى جمعهما سبب في المحكمة وهو الحاكم فذكّرته بما كان منه فاستحيى فخرج بها إلى بلاد أخرى فتزوّج بها هناك وعاش معها فطابت حياتهما، وتابا من جريمة الزّنى.

وموضوع " الجامعة الإسلاميّة"، دفاع عن الدّعوة الإسلاميّة، وإلى تطبيق المسلمين لدينهم كما شرع لهم، ودعوة إلى أن لا يجاملوا المسيحيّين وأعداء الدّين الّذين اتّخذوا تلك المجاملات طريقًا إلى بثّ السّموم في الإسلام وإفساده فإن لم يكن ذلك منهم فيوشك أن ينخذلوا ويبتعدوا عن دينهم، وأنّ عليهم أن لا يعبئوا باستهزاءاتهم وشتائمهم فإنّهم ضلّوا عن دينهم وباعوه بالدّنيا ويريدون إضلال المسلمين معهم كضلالتهم، ثمّ دعا المسلمين إلى الاتّحاد ليحقّقوا كثيرًا من أمور دنياهم وآخرتهم.[15]

وموضوع "المؤتمر الإسلاميّ"، خاطرة عقب خطبة سمعها الكاتب من أحد العلماء الأجانب حيث حاكى أحسن الدّعاة من السّلف الصّالح في أسلوبه كالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأبي بكر الصّدّيق وعمر بن الخطّاب، وصلاح الدّين وغيرهم، فهزّت قلوب السّامعين وأرسل الكاتب إلى أن يتساءل عن حقيقة المسلمين اليوم وحقيقة الدّعاة غير أمثال هذا الخطيب، واستخلص من ذلك كلّه إلى التّقرير بجاهليّة المسلمين المتأخّرين كجاهليّة الكفّار السّابقين فدعوتهم تحتاج إلى متقن لسبيل الدّعوة وإلى بدايات كبدايات دعوة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لكفّار مكّة، وهي العودة إلى إصلاح العقيدة والتّوحيد من جديد ".[16]

المحور الخامس: النّقد الاجتماعي في كتاب النّظرات ودوره في التّوعية الإسلاميّة:

وبعد عرض وتحليل لموضوعات الكتاب وما يختصّ منها في إصلاح المجتمع، وبعد إبراز للأفكار الإسلاميّة من الكتاب، يمكننا البحث عن مدى إمكانيّة هذه الموضوعات على إحداث التّغيير وتحقيق النّجاح في التّوعية الإسلاميّة، وهنا يلزم السّؤال الآتي، وهو: إلام يدعو الإسلام؟ فإن كانت دعوة الإسلام إلى تنظيم العلاقة بين العبد وربّه وبين العبد وأخيه فإنّ الأوّل يستلزم تطهير القلوب وتزكية النّفوس بالعبادات المشروعة،

[14]-ينظر , المصدر السّابق ,ج2 ص :13
[15]-ينظر , المصدر السّابق , ج2 , ص:63
[16]-ينظر , المصدر السّابق , جز3 , ص:126

كالصّلاة والزّكاة، والصّيام، والحجّ وغيرها، والّتي تبنى كلّها على العقيدة الصّحيحة الّتي إذا فهمها المسلم وفهم سبب وجوده في هذا الكون ، فضّل انتصارها وبقاءها ولو بذهاب نفسه ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ))[17] ، وقال جلّ من قائل : ((إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10)) [18]، ((قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ))[19]، وإن كان هذا ما يستلزمه الأوّل من هذين المطلبين في الدّعوة الإسلاميّة، فإنّ المنفلوطي في كتابه النّظرات، تفانى في الموضوعات الّتي خصّصها لنصرة الإسلام ودعوته في أساليب مختلفة لتحقيق هذا المطلب وهو حسب الملاحظ قد ركّز على وجوب الإخلاص في هذه الأعمال وتحسينها وأدائها على الوجه المشروع، والابتعاد فيها عن البدع والخرافات كما في مواضيع : "الدّعوة "، "والمؤتمر الإسلامي "، و"دمعة على الإسلام "، و"لا همجيّة في الإسلام"، و"الصّندوق"، و"عبرة الهجرة"، كما تصدّى للذّود عن هذا الدّين كلّما يلصق به من الصّفات السّلبيّة والرّدّ على أعدائه في مزاعمهم واتّهاماتهم، وذلك الواضح أيضًا في كلّ من موضوعي : "الإسلام والمسيحيّة "،و" الجامعة الإسلاميّة "، وكلّها بصياغات محكّمة ومقنعة لا تدع للكافر المنكر مجالاً لإنكارها ناهيك عن المسلم الّذي شُوّه له بعض المفاهيم في دينه، وقد تمّ اختصار أفكار هذه الموضوعات في المحور السّابق .

أمّا المطلب الثّاني من مطالب الدّعوة الإسلاميّة وهو تنظيم الحياة وعلاقة الإنسان مع الإنسان فقد فرّغ الكاتب بقيّة جهوده في الكتاب في بوتقة تحقيق ذلك، ولا أدلّ عليه من اهتمامه بتهذيب الأخلاق من الصّبر والصّدق، والرّحمة والسّخاء، ونبذ أضدادها، كما يدلّ على ذلك أيضًا اهتمامه بتحسين العلاقات الزّوجيّة وإصلاح الأسر وما فيها من مشاكل التّربية والإنفاق والتّعليم، وكذلك اهتمامه بالتّحفيز والتّحريض نحو العلى من الصّفات الإنسانيّة كالعمل والنّشاط واحترام العقول وغيرها، كما يدلّ على ذلك أيضًا نقده الظّواهر الاجتماعيّة العامّة كالانحراف عند السّاسة والكتّاب والممثّلين وغيرهم . وقد دلّت على ذلك كلّه الموضوعات المذكورة في الأخلاق، والعلاقات الزّوجيّة والأسريّة، واستقلال العقول، والسّياسة، والكتابة، في المطلب الثّالث من هذا البحث؛ وهي في الأوّل (أي الأخلاق): "الكأس الأولى " و"أين الفضيلة"، والغني والفقير"، و"البخيل"، و"البعوض"، والسيرة"، و"أدب المناظرة"، و"العظمة"، و"يوم العيد"، والآداب العامّة"، و"والضّمير"، و" أيّها المحزون "،و" الجزع "،و" الشّرف "، و" الحسد "، و"الوفاء"، و" خبايا الزّوايا "، و"القمار"، و"الكبرياء"

وفي الثّاني والثّالث :(أي: معالجة القضايا الزّوجيّة والأسريّة والدّعوة إلى معالى الصّفات الإنسانيّة): "عبرة الدّهر"، " غرفة الأحزان "، ‘‘الحبّ والزّواج "، "الإحسان في الزّواج"، "الزّوجتان "، "البائسات"، "غدر المرأة"، "الرّجل والمرأة "، "احترام المرأة "، " الحياة الذّاتيّة"، " النّبوغ"، العلماء والجهلاء"، " الانتقاد ".

[17]-سورة الذّاريات , آية : 56-58
[18]-سورة الصّفّ , آية : 10-11
[19]-سورة التّوبة , آية :24

وفي الرّابع: (نقد القضايا الاجتماعيّة العامّة في السّاسة والكتّاب) :" مدينة السّعادة "، "المدنيّة الغربيّة "، "الاتّحاد"، "أهناء أم عزاء "، "السّياسة "، "اللّقيطة "، "مدرسة الغرام "، "قتيلة الجوع"، "سحر البيان "، "الرّثاء "، "الشّعر "، "دمعة على الأدب "، "الصّحافة "، "الأدب الكاذب "، "اللّفظ والمعنى "، "النّظّامون"، "رسالة الغفران"، "البيان "، "زيد وعمرو"، "يوم الحساب "، "خداع العناوين"، "الملاعب الهزليّة ".

وإضافة إلى مجالات المواضيع المعينة على تحقيق النّجاح في التّوعية الإسلاميّة، فإنّ أسلوب الكاتب يلعب دورًا آخر لا يقلّ عن اختياره هذه المواضيع أهمّيّة ؛ إذ لو كان أسلوبه فقط ذكر مواضيع وتناول دراستها علميًّا بسرد الأقوال وسوق الأدلّة، لما استحقّ هذا التّميّز الّذي يلاحظ له، ولما ساوى شيئًا أمام تلك المؤلّفات الكبيرة في العلوم الشّرعيّة من الفقه والتّوحيد، والتّفسير وغيرها، لكنّه انتهج في مجاله أسلوبًا يلفت الأنظار ويزيد في الإقناع ويحرّك المهج والمشاعر، وهو أسلوب التّشخيص القصصي والرّوائي الّذي ينطلق في الدّرجة الأولى من واقع المجتمع الّذي يعيش فيه القارئ ؛ فينظّم له الأفكار في الظّواهر المؤلمة الّتي هو يشاهدها مشتّة ويرتّب عقد السّلك الاجتماعيّ فيرى هو نفسُه من بين هذه العقد وما عليه أن يفعله إذا أراد انتقاله من عقدة إلى أخرى ؛ فالغنيّ البخيل الشّره المتكالب بعد أن صنّفه الكاتب من الوحوش لتقديمه جميع مصالحه المادّيّة على مصالح البشريّة–في موضوع: الغنيّ والفقير– إذا أراد أن يعود إلى الإنسانيّة فيعدّ من البشر لا بدّ عليه من يتغيّر من البخل والشّره والتّكالب إلى السّخاء والكرم والتّرحم، والكاتب الّذي جعل نفسه ببغاء يردّد ما قيل ويركّب الألفاظ على الألفاظ بدون معان –في موضوع : البيان، والحياة الذّاتيّة، وغيرهما–إن رأى نفسه في هذه الصّورة وهو كان يعتبر نفسه أبطال الأمّة، عاد إلى طريق الصّواب فكتب ما ينفع وعبّر بما يفهم، والزّوج الّذي يرى عاقبته عندما يسيء إلى زوجته وأبنائه–في موضوع : عبرة الدّهر– أنّه يتحوّل إلى لعبة لدى أصدقائه ونسائه عند مرضه فيزنون مع بعضهم أمامه ويعلنون الازدراء به وهو عاجز عن انتقامهم بسبب أنّه كان خادعًا لزوجته ومعتبرًا المال كلّ الحياة والنّجاح فساقت له الأيّام ما لم يكن في حسابه، لو علم هذا الزّوج ما تشجّع وهو على مثل هذا الفعل أن يتقدّم عليه ولو شبرًا .

وهذا هو أسلوب الكاتب في كتابه، وبه أثّر في تغيير المفاهيم وإصلاح الأحوال إلى أحسنها.

خاتمة:

وبعد جولة متواضعة حول شخصيّة المنفلوطي وكتابه النّظرات، يتوصّل الباحث إلى النّتائج التّالية:

1–أنّ المنفلوطيّ من روّاد الكتابة العربيّة في العصر الحديث شعرًا ونثرًا، والمتّصلين بالإمام محمّد عبد وسعد باشا زغلول، وصاحب المؤيّد، وقد عرف بتواضعه، ودقّة فهمه، ونقاء إحساسه، ووطنيته، مع صحّة عقيدته.

2–أنّ أسلوب المنفلوطيّ في كتاباته أسلوب رقيق مؤثّر، وقد انتهج فيها المنهج النّفعي فكانت كتاباته موجّهة للإصلاح الاجتماعيّ ، ونقد الظّواهر السّيّئة في المجتمعات البشريّة.

3–أنّ للمنفلوطيّ مؤلّفات كثيرة وأسماها وأفضلها وأشملها لأعماله وأساليبه كتابه النّظرات، وقد جاء هذا الكتاب في ثلاثة فصول تناول فيها نقد قضايا الأخلاق، والأسر والزّوجين،

والسّياسة والكتابة، والقد ر، كما تصدّى فيها لنصرة الإسلام ودعوته.

4-أنّ موضوعات الكتاب الشّاملة لقضايا الأخلاق والظّواهر الاجتماعيّة وأسلوب الكاتب في تناول هذه الموضوعات معينان بوضوح على تغيير الظّواهر السّيّئة في المجتمع وتحقيق النّجاح في التّوعية الإسلاميّة؛ إذ إنّ رسالة الإسلام هي العمل على تحقيق هدفين عظيمين هما تنظيم العلاقة بين العبد وربّه وإتمام مكارم الأخلاق.

المراجع والمصادر:

1-القرآن الكريم

2-تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزّيّات، دار النّهضة، مصر القاهرة.

3-الحجاب، المنفلوطي، ط1، دار الهداية، بيروت لبنان، 1412هـ-1991م

4-الدّيوان، عبّاس محمود العقّاد إبراهيم المازني، ط4، دار الشّعب، القاهرة، 1996، ج2

5-سنن ابن ماجة، الحافظ أبي عبد محمّد بن يزيد القزوينيّ ابن ماجة، الطّبعة الأولى، دار جيل بيروت، 1998م 1418هـ

6-الصّياغة الإسلاميّة لعلم الاجتماع الدّواعي والإمكان، الأستاذ منصور زوية المطري ط1، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، دولة قطر، 1413هـ 29-30

7-العبرات مصطفى لطفي المنفلوطي، دار الهدى الوطنيّة، بيروت لبنان.

8-مؤلّفات مصطفى لطفي المنفلوطي، دار الجيل، بيروت لبنان، 1404هـ1984م

9-النّظرات، مصطفى لطفي المنفلوطي، دار مصر 1925